قصة قصيرة
بُحيرة الصَّمْت
مها سيد عبد الرحمن

الفصل الأول

"أنا يونس، أبلغ من العمر واحد وعشرون عاماً، أكتب هذه الرسالة في أكثر أيام حياتي رعباً وأهمية على حد سواء، وربما يكون آخرها!

ما سيحدث الليلة سيحدد مصير قرية بأكملها، قد يخلصها من تلك اللعنة التي أصابتها منذ عقود طويلة حتى ظن أهلها أنها لم تكن سوى مجرد أسطورة قديمة ليس لها وجود من الأساس قبل أن يوقنوا بأنها أكثر الحقائق رعباً على الإطلاق! أوقد ينهي وجودها إلى الأبد!

ليس لدي متسعٌ من الوقت فالليل على وشك الحلول ولا أحد يعلم متى تحديداً ستبدأ أحداث هذه الليلة؟! وهل ستنجح خطتي في تخليصنا منها أم ستقضي علينا جميعاً؟! لكني سأحاول جاهداً أن أقصَّ عليك -يا قارئ رسالتي- تفاصيل ما حدث من البداية لتُصبح على علمٍ بكل شيء وتنقل روايتي هذه إلى الجميع وتحذرهم من حقيقة ما يجري في هذه القرية قرية ال"100 صياد"!

بالنسبة لي بدأ كل شيء يوم وفاة والدي، كنت أعيش مع والداي في قريةٍ بعيدة، منذ وُلِدت لم أعرف سواها ولم أخرج منها قط، حتى يوم وفاة والدي حينها تغير كل شيء.

في ليلة وفاته سمعت الحوار التالي يدور بين أمي وخالي بِشر:

-" لم يعد لنا بقاءٌ هنا يا صفية، ليس أمامنا سوى العودة إلى قريتنا"

بكت أمي في حرارة قبل أن تجيبه:

-" لا يا بِشر أرجوك! لا أريد العودة إلى هناك بعد كل ما حدث لجدّي لنبقى هنا، وبعد تنازل يونس عن ميراثه لعمه عثمان، بالتأكيد لن يمانع في بقائنا"

صاح خالي بِشر في انفعال:

-" مضى زمن بعيد على ما حدث لجدنا، ما يفوق الخمسون عاماً، لن يتذكرنا أحد هناك بل لن يعرفنا أحد من الأساس، كنا مجرد طفلين حين غادرنا مع والدينا وجدتي لم أتجاوز حينها العاشرة من عمري بينما كنتي أنتِ في الخامسة!

كما أن الأمر ليس متعلق بالميراث وحده يا صفية، وجود يونس هنا خطرٌ على حياته وأنتِ تعلمين ذلك جيداً، لن يتردد عثمان في التخلص منه حتى لا يعلم أحد بالشجار العنيف الذي دار بينه وبين سلَّام رحمه الله قبل موته بأيام وبحقيقة استيلائه على ميراث يونس بالإكراه، لن يخاطر بإثارة الشكوك حوله خصوصاً بعد اقترابه من منصب العمدة الذي طالما سعى إليه، لا شك لديّ في أنه سيدبر له أي حادث ليتخلص منه كما فعل مع سلَّام، هروبنا من هنا في أسرع وقت هو الحل الوحيد لحمايته، وليس لدي مكان آخر أذهب إليه سوى قريتنا، فلا أحد هنا يعلم عنها شيئاً منذ قدومنا!"

بكت أمي كثيراً في تلك الليلة دون أن تجادل خالي بِشر أكثر من ذلك، وسارعت بجمع أغراضنا المهمة، قبل أن تخبرني بضرورة رحيلنا قبل طلوع النهار متجاهلةً تماماً كل الأسئلة التي حاولتُ جاهداً الحصول على إجاباتٍ لها، فلم يكن بيدي شيء في النهاية سوى مرافقتها هي وخالي إلى قرية ال 100 صياد، لم أكن أعلم حينها أن عودتنا إليها ستكون سبباً في حلول تلك اللعنة القديمة!

****

لم أنسَ قط ذلك اليوم الذي وصلنا فيه إلى هنا، كان الفجر على وشك البزوغ لحسن حظنا! فالقرية مظلمة لم أرَ حينها سوى عمود إنارة عند مدخلها فقط، والصمت يحكم قبضته على القرية بأكملها لا تسمع فيها صوتاً واحداً يدل على وجود أحياء! ولا حتى مواء قطة أو نباح كلب!

فقط صوت الريح الذي يحرك أغصان الأشجار فتصدر حفيفاً يزيد المشهد رهبة، لم أشعر بالارتياح ولو لثانية واحدة منذ دخولي تلك القرية كل شيءٍ فيها مقبض يبعث الضيق في النفس ويثير الشعور بأن ثمة شيء غريب يجري هنا! لا أعلم لماذا سيطرت عليَّ تلك الفكرة منذ الخطوات الأولى التي خطوتها بداخلها؟!

تأملت ملامح أمي وخالي بِشر فأيقنت أن الخوف والتوتر يسيطر على كلاهما أيضاً مثلي تماماً، فأمي تتلفت حولها دون توقف وخالي يسابق بخطواته الريح وهو يشير إلينا لنتبعه دون أن ينطق بحرف. كان يسير بين منازل القرية وكأنه يعلم وجهته، تعجبت لذلك كثيراً فهو لم يأتِ إلى هنا منذ عشرات السنين، لم تكن القرية كبيرة، منازلها متلاصقة يفصلها شوارع ضيقه، هذا فقط ما رأيته حينها وأنا أحاول اللحاق

بخالي الذي خُيِّل إليَّ لوهلة أنه أصبح يركض، أدركت لاحقاً أنه كان يبحث عن المسجد الذي لم يكن الوصول إليه صعباً على الإطلاق خاصةً مع وجود عمود إنارة ملاصق له، دخلنا الشارع المقابل للمسجد وسرنا حتى وقفنا أمام باب منزل لا يختلف كثيراً عن سائر منازل القرية، منزل متوسط الحجم من طابق واحد، تبادل مع أمي نظرة تشوبها القلق قبل أن يخرج من جيبه مفتاحاً قديماً، ويسرع بوضعه في قفل الباب وهو يحاول جاهداً فتحه، ظننت لوهلة أنه لن ينجح في ذلك مطلقاً مع تكرار محاولاته في إدخال المفتاح أولاً ثم في تحريك القفل لفتحه، حتى أنني لم أصدق عيناي حينما رأيت الباب يُفتح بالفعل أخيراً!

دخلنا بسرعة ثم أمعن خالي النظر في المكان حول المنزل جيداً ليتأكد أن أحداً لم يرانا، بعدها دخل إلى المنزل وأغلق الباب، ثم ألقى بجسده على أريكة قديمة ليلتقط أنفاسه غير مكترث بذلك الكم من الغبار الذي تسبب في تطايره حولنا.

كنت أراقب ما يحدث في تعجب ثم وجدت نفسي أصيح في انفعال قائلاً:

-"لقد طفح الكيل!! أريد أن أفهم الآن ما الذي يجري هنا؟! ولماذا تخشون أن يراكم أحد إلى تلك الدرجة؟!"

قاطعني خالي في صرامة قائلاً:

-"ليس الآن يا يونس! نحن متعبون من السفر ولا يزال البيت بحاجة إلى الكثير من التنظيف، فلتؤجل أسئلتك إلى أن ننتهي"

بدى كلامه منطقي إلى حد كبير، فآثرت السكوت حتى ننتهي، ثم بدأنا بتنظيف المنزل، كان أكبر مما يبدو من الخارج، به أربع غرف كبيرة تتوسطها ردهة واسعة وشرفة خلفيه تطل على ما يفترض أن تكون حديقة صغيرة لكنها بالطبع لم تكن سوى أرض قاحلة بها صناديق وبعض قطع الأثاث القديمة، يحيط بها سور إسمنتي مرتفع.

مع سطوع الشمس في السماء بدأت أصوات أهل القرية تعلو وتختلط مع أصوات أقدام المارة في الخارج، لاحظت التوتر الشديد الذي كان يصيب أمي كلما سمعت صوت مرور أحد بجوار المنزل، بالطبع أغلقَت جميع النوافذ جيداً حتى لا يشعر أحد بوجودنا، استغرقنا في تنظيف المنزل عدة ساعات، بعدها اختار كل واحد منا

غرفة لتكون غرفته من غرف النوم الثلاث واستلقى على سريره منهك القوى، بينما كانت الغرفة الرابعة هي غرفة معيشة بها أريكة كبيرة وعدة كراسي وتلفاز قديم، أتذكر أني نمت يومها في غضون دقائق من شدة التعب.

مرت ساعات طويلة لم أشعر بها قبل أن أفتح عيني وأستيقظ لأجد الشمس على وشك المغيب، كان خالي لا يزال نائماً لكني وجدت أمي مستيقظة تقف في المطبخ لتحضر لنا طعاماً لنأكله، من الجيد أنها قد أحضرت بعض الأطعمة معها قبل مغادرتنا، وقفت بجوارها أتظاهر بمساعدتها ثم سألتها في إصرار:

-" أعتقد أن الوقت قد حان لأفهم سبب ارتباككما الشديد منذ دخولنا هذه القرية وخوفكما الغير مبرر من أن يعلم أحد بعودتنا، كيف ستخفون ذلك عن الجميع وأنتم تنوون العيش هنا؟!"

تنهدت أمي تنهيدة عميقة وقد أدركت أنه لا مفر من الحديث في الموضوع، ثم أخبرتني بما حدث قبل أكثر من خمسين عاماً...

****

-"في الجانب الغربي من هذه القرية بحيرة كبيرة تعتبر بمثابة كنز لأهالي القرية منذ زمن بعيد بسبب امتلائها بالأسماك على اختلاف أنواعها، كان جميع رجال القرية يعملون في الصيد وتأتي إليهم عربات التجار من البلدان المجاورة كل يوم لأخذ الأسماك الطازجة، لذلك سميت بقرية ال100 صياد كنايةً عن كثرة الصيادين بها. وكان جدي عبد الحكيم رحمه الله أحد أولئك الصيادين بل ومن أكثرهم مهارةً ومحبةً بين الناس، لكن بالطبع لطبيعة نفوس البشر فدوماً تجد الحاقدين الذين يعجزون عن تقبل حب الناس للطيبين أمثال جدي، ومن هنا بدأت الحكاية!

صياد كان يدعى عمران أعماه حقده على جدي ومن يعملون تحت إمرته، وطمعه في أن يكون كبير الصيادين وأن يتحكم وحده في شئون الصيد بالقرية، فظل يكيد المكائد ويحيك المؤامرات حتى أتى ذلك اليوم الذي حدث فيه أبشع ما يمكن أن يحدث على الإطلاق....

الفصل الثاني

تنهدت أمي في أسفٍ بالغ وهي تتابع سرد أحداث ذلك اليوم الحزين على مسامعي كما حكته لها جدتها:

"ظل عمران لفترة طويلة يخطط لما ينوي فعله بجدي وجميع رجاله حتى أتى اليوم المنشود، انتظر حتى نزل جدي بقاربه إلى البحيرة وبصحبته عدة قوارب أخرى على متنها عدد من الصيادين اللذين يعملون تحت إمرته، ثم نزل عمران إلى البحيرة هو الآخر مع عدد كبير من رجاله، وأحاطوا بقواربهم قوارب جدي ومن معه، وبدأت المعركة!

أخرج رجال عمران عدد كبير من الأسلحة البيضاء التي كانوا يخفونها على متن قواربهم، وقفزوا إلى قوارب جدي ومن معه من الصيادين، وكان أحد رجال عمران قد جمع أهالي القرية عند ضفاف البحيرة ليشهدوا ما سيحدث.

دار شجار عنيف للغاية بين رجال عمران ورجال جدي لكنه كان غير متكافئ على الإطلاق، انتهى بشلال من الدماء سال في وسط البحيرة!

قُتل جدي وجميع رجاله على مرأى ومسمع من الجميع وسط حالة من الذعر والصراخ من النساء والأطفال، بينما وقف باقي رجال القرية يتابعون ما يجري في مزيجٍ من الصمت والذهول، ولم يجرؤ أحدهم على التدخل أو حتى الاعتراض على ما يحدث حتى أنهى رجال عمران حياة ما يزيد على خمسة عشر صياد وألقوا بجثثهم في الماء، يقال أن مياه البحيرة حينها تحول لونها للون الأحمر من كثرة الدماء التي سالت فيها ذلك اليوم.

بعدها اقترب عمران من شاطئ البحيرة وهو يقول مخاطباً أهالي القرية الذين كانوا في أشد حالات الخوف والضعف:

-" منذ هذه اللحظة أنا فقط المسؤول عن كل ما يتعلق بالصيد هنا، من يريد العمل سيعمل تحت إمرتي ومن لا يريد فليغادر القرية الآن ولا يعد إلى هنا أبداً، أما أهالي أولئك الحمقى فليس لهم مكان هنا بعد الآن، غادروا قبل أن تلحقوا بهم! ولا تحاولوا العودة ثانيةً وإلا ستلقون نفس المصير!"

قاطعت حديث أمي في انفعال:

-"كيف يعقل أن يُقتل أكثر من خمسة عشر شخصاً هكذا دون أن يُبلغ أحد الشرطة أو يتدخل لنجدتهم؟!"

أجابتني بنبرةٍ حزينة:

-" لم يكن بالقرية مركزاً للشرطة، أقرب مركز كان في قريةٍ مجاورة يستغرق الوصول إليها بعض الوقت، كما أن ما حدث كان مفاجئاً للجميع لم يتسنَّ لأحد الوقت ليفكر أو يتصرف، وأهالي القرية كانوا أكثر جبناً من أن يقفوا أمام عمران ورجاله حينها!

لا علم لدي بما حدث بعد ذلك اليوم فكل ما أخبرتني به أمي أن جدتي أصابتها حالة انهيارٍ تام بعد ما حدث لجدي، وكان كل ما يشغلها أن تخرج والدي من القرية قبل عودة عمران خوفاً عليه، بينما تفجر الغضب في دماء والدي حينما علم بما حدث، فمن حُسن حظه أنه لم يكن مع جدي آن ذاك وإلا كان قد قتل هو الآخر، كان خارج القرية وعندما عاد وجد حالة من الهرج والمرج تسودها، وعشرات الناس يحملون أمتعتهم مغادرين وهم في حالة من الذعر، وعندما وصل إلى المنزل كانت أمي وجدتي قد حزما أمتعتنا استعداداً للرحيل، ثم أخبرته جدتي بما حدث فجُنَّ جنونه وكاد يذهب إلى عمران ليتشاجر معه لولا أنها فقدت وعيها من شدة الخوف عليه والحزن على جدي، فجلس بجوارها حتى أفاقت، ثم ضعف أمام دموعها واستجاب لتوسلاتها في النهاية وغادرنا القرية يومها ولم نَعُد إليها ثانيةً.

توفيت جدتي بعد مغادرتنا بنحو ست سنوات، طوال تلك السنوات كانت تثور وتتدهور حالتها الصحية كثيراً كلما حدثها والدي عن رغبته في العودة والثأر لجدي من عمران، فقرر ألا يفعل ذلك مجدداً أبداً خوفاً عليها، لكن بعد وفاتها قرر العودة، لم تنجح توسلات أمي في جعله يتراجع عن قراره، وبالفعل عاد إلى القرية وحده ومكث فيها نحو أسبوع لا نعلم عنه شيئاً!

أتذكر حال أمي خلال ذلك الأسبوع جيداً حتى الآن، كانت تبكي بلا توقف ظناً منها أنه قد قُتل على يد عمران ورجاله! خاصةً أنها لم تتلقَّ منه اتصالاً واحداً منذ مغادرته، حتى أنها فقدت وعيها لأكثر من ساعة من شدة المفاجأة حينما رأته أمامها ثانيةً! لم تكن تتوقع عودته مطلقاً.

لكن حالة أبي أصبحت في منتهى الغرابة منذ عودته لقد تغير تماماً! رفض أن ينطق حرفاً واحداً عما حدث معه خلال ذلك الأسبوع، وظل صامتاً تسيطر عليه حالة من الذعر الشديد، يتلفت حوله باستمرار، ذبلت عيناه من قلة النوم، كان لا يكاد يغفو قليلاً حتى يستيقظ وهو يصرخ قائلاً:

-"اتركوني! لا أريد الذهاب معكم!"

ظل على تلك الحالة عدة أشهر وحالته الصحية تسوء كثيراً مع مرور الوقت، حتى فارقنا للأبد!

وقبل وفاته بأيام قال لأمي:

-"لا تذهبوا إلى قرية ال100 صياد مهما حدث!"

أخذ يكررها بلا توقف كلما استعاد وعيه قبل أن يفارق الحياة.

****

أنهت أمي حديثها وقد شعرتُ بالخوف يسيطر على كل ذرةٍ في كياني لأول مرةٍ منذ وصولنا، حتى أنني فكرت في العودة إلى بلدتنا في الحال مهما كانت العواقب!

استيقظ خالي بِشر، لم يصدق عينيه حينما رأى الطعام أمامه فجلس يأكل في شراهة، وبعد أن أنهي طعامه وعلم بما أخبرتني به أمي، نظر إلي في حزمٍ قائلاً:

-"اسمع يا يونس، لقد حل الظلام وسيقل عدد الناس في الشوارع كثيراً، أريد منك أن تتلثَّم بطرف عمامتك وتجوب القرية دون أن تحاول الحديث مع أي أحد، أريدك فقط أن تعرف كيف هي الأحوال هنا، فلا أعتقد أننا سننجح في الاختباء طويلاً، لكن قبل إعلان عودتنا يجب أولاً أن نعرف أخبار القرية وسكانها وهل لا يزال ذلك المدعو عمران على قيد الحياة أو ربما يكون أحد أبنائه قد حل مكانه، حاول أن تعرف أي معلومة قد تفيدنا"

....

لم يرُق لي كثيراً ما سمعته من خالي بِشر حينها لكنني لم أمانع في الذهاب فبداخلي كان الفضول قد بلغ أقصاه على الرغم من الخوف الذي كان يعتريني، حسمت أمري وفعلت كما طلب مني، تلثمت بطرف عمامتي وخرجت أتسلل في هدوء.

كانت الشوارع مظلمة تقريباً، فلا يوجد في القرية بأكملها سوى ثلاثة أعمدة إنارة فقط! أحدها عند مدخلها والآخر بجوار المسجد والثالث عند تقاطع عدة شوارع رئيسية، ولا يضيء باقي الشوارع سوى الإضاءات الخافتة المنبعثة من مصابيح معلقة على أبواب بعض منازل القرية.

كنت أسلك طريقاً آخر كلما صادفت أحد في طريقي قادم من بعيد، حتى وجدت نفسي أمام دكان صغير يقع في الناحية الشمالية من القرية بجوار عمود الإنارة الثالث عند تقاطع الشوارع الرئيسية، تعجبت كثيراً حينما وجدت فتاةً تقف فيه بمفردها، ظللت أراقبها من بعيد وهي منشغلة بترتيب بعض الأغراض بداخل الدكان، شعرت أنها قد تكون فرصة جيدة للغاية لأتجاذب معها أطراف الحديث فقد أحصل منها على معلومةٍ ذات فائدة، اقتربت منها في هدوء دون أن تشعر بذلك، ثم وقفت أمام الدكان وقلت بنبرةٍ جادة:

-" من فضلك هل لديك جُبن؟"

انتفضت في فزع وقد تفاجأت بوجودي ثم حدقت في بذهول، وقالت في تلعثم:

-"من أنت؟؟ أنت لست من هنا!"

سارت قشعريرة باردة في جسدي وقد أدركت أنها افتضحت أمري! لم أتوقع حدوث ذلك بتلك السرعة، أزحت اللِّثام عن وجهي مسرعاً، وقلت في ارتباك:

-" نعم أنتِ محقة أنا لست من هنا، لكن أرجوكِ لا تخبري أحداً بذلك قد يكون في الأمر خطراً على حياتي أنا وأمي وخالي!"

اتسعت عيناها في دهشة قائلةً:

-"كيف ذلك؟!"

شعرت بالحرج وأنا أقول:

-" لا أعلم بالضبط حتى الآن!"

انفجرت ضاحكة فزاد شعوري بالحرج منها لكن ما لبث أن زال حينما لاحظت كم هي جميلة وزادتها ضحكتها جمالاً، فابتسمت قائلاً:

-"ما اسمك؟"

احمر وجهها قليلاً وهي تجيب:

-"اسمي جميلة"

اتسعت ابتسامتي أكثر وهممت بقول شيء يعبر عن مدى التناغم بين اسمها وملامحها لكني تراجعت حتى لا أغضبها، ثم قلت:

-"وأنا اسمي يونس، والدتي هي حفيدة عبد الحكيم، كان أحد كبار الصيادين في البلدة قديماً هل سمعتي عنه من قبل؟!"
امتقع وجهها على نحوٍ مفزع وانطلقت من حلقها شهقة وهي تلطم بيدها على وجهها، تراجعتُ للخلف في ارتباك وأنا أتساءل:

-" ما الأمر؟؟! لماذا كل هذا الخوف؟"

بدأت أسنانها تصطك ببعضها وترتجف يداها على نحوٍ لافت، قبل أن تجيب في ذهول:

-" اللعنة! تلك اللعنة القديمة ستعود بعودتكم! لعنة بحيرة الصَّمت!"

الفصل الثالث

كان ما تخشاه أمي من عودتنا للقرية لا يُذكر أمام الخطر الحقيقي الذي علمته لاحقاً، والذي لم تكن هي تعلم عنه أي شيء، ولم يكن ليخطر ببالها ولو لثانيةٍ واحدة!

فما أخبرتني به جميلة في تلك الليلة كان أشبه بالأساطير الخيالية التي لا يتوقع أحد وجودها بالأساس، لم أنس قط تلك القبضة التي شعرتُ بها في صدري وأنا أتأمل ملامح الذعر التي ترتسم على وجه جميلة وهي تذكر أمر "لعنة بحيرة الصمت"! سألتها في دهشة بالغة ماذا تعني بذلك؟! فحاولَت التقاط أنفاسها في صعوبة ثم أجابتني بتوتر شديد:

-"انها حكاية قديمة مضى عليها عشرات السنين، لكن أهل البلدة يتناقلونها حتى الآن ويخشون عودتها ثانيةً رغم حديث البعض أنها مجرد اسطورة اختلقها أحدهم ليبرر اختفاء عمران المفاجئ"

قاطعتها في تعجب:

-"اختفاء عمران؟؟!"

أومأت برأسها موافقةً قبل أن تتابع:

-"نعم لقد اختفى فجأة! سأحكي لك كل ما أخبرتني به أمي فقد كان والدها أحد رجال عمران لكنه لم يشارك في قتل الصيادين كان من الذين اكتفوا بالمشاهدة فقط!

بعد تلك الحادثة البشعة التي قُتل فيها جدك مع عدد كبير من الصيادين، غادر عدد كبير من أهل القرية ولم يعودوا ثانيةً، وسيطر عمران على القرية بأكملها وفرض نفوذه على كل صغيرةٍ وكبيرة تحدث فيها، حتى عندما أبلغ أحد أهالي الصيادين المقتولين الشرطة، وجاءت إلى القرية بعد الحادث بيومين لتحقق في الأمر، تمكن عمران من غلق الموضوع من قبل أن يُفتح بعقد صفقة مالية كبيرة مع المأمور، نسبة من إيرادات الصيد اليومية تصل إليه لمدة عام كامل، وبالطبع لم يكن المأمور ليرفض صفقة كهذه من أجل مجموعة من الصيادين الذين لا يكترث أحد لأمرهم بالأساس، فلم يجرؤ على إبلاغ الشرطة من أهلهم سوى شخص واحد فقط!

وبعد انقضاء العام طلب المأمور امتداد الصفقة لعام آخر ولم يمانع عمران فقد أصبحت بينهما العديد من المصالح المشتركة ثم لعامٍ ثالث وهكذا استمرت الأحوال بينهما لأعوامٍ عديدة ولم يعد أحد يذكر ذلك الحادث مطلقاً.

كان كل شيء يسير على خير ما يرام بالنسبة لعمران ورجاله، يفعلون ما يحلوا لهم في سكان القرية ولا يجرؤ أحد على معارضتهم ولا حتى على اتخاذ قرار بالرحيل، استمر الحال هكذا لسنوات حتى جاء اليوم الذي حدث فيه ما لم يخطر على بال أحدٍ! عاد حامد ابن عبد الحكيم إلى القرية!"

صِحتُ في دهشة:
-" إنه جدي!"

أومأت برأسها إيجاباً ثم استطردت قائلةً:

-" في ذلك اليوم وعندما علم عمران بعودته جن جنونه وقرر قتله بنفس الطريقة التي قتل بها والده عبد الحكيم، ليكون عبرةً لمن يجرؤ على تحديه وعصيان أوامره، كان جدُّك قادمٌ إلى البلدة للثأر لوالده في الأساس لذلك لم يكن يكترث لتهديدات عمران بل أنه تشاجر معه أمام أهالي القرية في سابقة لم تحدث من قبل، فقرر عمران تركه حتى صباح اليوم التالي ليستدرجه إلى البحيرة ويقتله هناك تماماً كما فعل في والده، لكن ما حدث في تلك الليلة كان ضرب من الجنون!

تقول أمي أن رجال عمران كانوا يتناوبون على حراسة قواربهم التي في البحيرة كل ليلة، بأن يبقى أحدهم في غرفة الحراسة الواقعة على ضفة البحيرة، وفي تلك الليلة كان الحارس مستيقظاً عندما سمع صوت ماء البحيرة يتحرك على نحو لافت، فخرج ليتحقق مما يجري، ففوجئ بماء البحيرة ينحسر حتى أن القوارب أصبحت على الأرض تماماً بلا نقطة ماء واحدة تحيط بها، ثم اتسعت عيناه في ذعر حينما نظر إلى داخل البحيرة ليظهر أمامه عدد من الرجال يقفون في منتصفها تماماً تظهر خيالاتهم على ضوء القمر لكن بالطبع لم يتمكن من رؤية وجوههم، ثم بدأوا يتحركون باتجاهه، لم يقو عقله على استيعاب ما يجري فعاد راكضاً إلى منزل عمران وهو يصرخ في جنون ويصف له ما حدث، لم يتردد عمران لثانية في أخذ ثلاثة من رجاله كانوا في حراسة منزله حينها والذهاب باتجاه البحيرة ليتحقق بنفسه مما يحدث، لكنه اختفى في تلك الليلة ولم يَعُد ثانيةً أبداً هو واثنين من رجاله، أما

الرجل الثالث فقد دخل في حالةٍ هيستيرية وظل يهذي لأيام بأن عبد الحكيم أخذ عمران إلى البحيرة قبل أن يفقد عقله تماماً.

في الأيام التالية لذلك اليوم سادت حالة من الهلع في أنحاء القرية، وظل رجال عمران يبحثون عنه في كل مكان، وما أن تغيب الشمس حتى يُهرع كل أهالي القرية إلى منازلهم في ذعر، بقيت البحيرة تنحسر كل ليلة ويخرج منها تلك الخيالات التي ساد بين أهالي القرية أنها أشباح الصيادين الذين قُتلوا فيها وقد عادت لتنتقم منهم، حتى جاء اليوم الذي وصلت فيه تلك الخيالات إلى داخل القرية!

ورآها الكثيرون! ظلوا يجوبون شوارعها حتى الصباح ، ثم قرر أحد رجال عمران أن يلعب دور المنقذ ليأخذ مكانه بعد اختفائه، فجمع أهالي القرية في الصباح وأخبرهم بأنه سيخلصهم مما يحدث مستمتعاً بعبارات الثناء والتمجيد التي انهالت عليه منهم، وفي تلك الليلة خرج لمواجهة أحدهم، ارتجف في فزع حينما رآه عن قرب كانت عيناه مجوفتان وملامحه مشوهة تماماً هذا ما قاله أحد أهالي القرية الذي كان يتابع ما يجري من نافذة منزله، صرخ رجل عمران في ذعر ثم بدأت أصوات الصراخ تتعالى في جميع أرجاء القرية، تجرأ بعض الأهالي على النظر من النوافذ رغم الهلع الذي يجتاح نفوسهم، فوجدوا أن مصدر تلك الصرخات المفزعة هي أشباح الصيادين! ثم أخذوا يجتمعون عند المكان الذي سقط فيه رجل عمران مغشياً عليه قبل أن يأخذوه معهم إلى البحيرة ويختفي تماماً دون عودة!

استمر الحال على هذا المنوال لعدة أيام، يجوبون القرية كل ليلة ويستثيرهم الصوت فيظلون يصرخون ويجتمعون على مصدره ثم يأخذوه معهم إلى البحيرة بلا عودة، حتى أصبح أهالي القرية يلتزمون الصمت التام طوال الليل وإلى شروق الشمس، لذلك أطلقوا على تلك البحيرة اسم "بحيرة الصمت"!

ثم اختفوا ولم يعودوا ثانيةً أبداً، مضى على ذلك عشرات السنين، لكن يظل أهالي القرية يتناقلون تلك الحكاية في الكثير من مجالسهم، خصوصاً كبار السن منهم ممن عاصروا حدوثها بينما يشكك في صحتها الكثير ممن هم أصغر سناً، رغم ذلك اعتاد أهالي القرية التزام الصمت طوال الليل حتى أنهم اعتادوا قتل جميع القطط والكلاب حتى لا تتسبب أصواتهم في خروج أشباح الصيادين من البحيرة ثانيةً!"

****

أنهت جميلة حكايتها العجيبة وأنا أحدق في وجهها في ذهول مما أسمعه فهو كلام لا يصدقه عقل، مطيت شفتاي في تعجب ثم سألتها:

-"وما شأن عودتنا نحن بتلك الحكاية؟؟ لماذا قلتي أن عودتنا ستعيد اللعنة ثانيةً؟!"

عقدت حاجبيها وقالت في خفوت:

-" لقد استنتج كبار رجال القرية أن السبب في كل ما حدث هو عودة ابن عبد الحكيم إلى القرية، لأن خروج أشباح الصيادين حدث في نفس الليلة، وقالوا أن عودة أي أحد من أهالي الصيادين الذين قتلوا في البحيرة سيتسبب في عودة لعنة البحيرة ثانيةً!"

صمتُ لوهلة وأنا أفكر فيما تقول، ثم سألتها:

-" إذا كانت عودة جدي إلى القرية هي سبب خروجهم فما سبب توقف ذلك؟!"

أجابت مسرعة:

-" ذلك هو السؤال الذي ظل أهالي القرية يتجادلون فيه لسنوات ولم يجتمعوا على إجابة واحدة مطلقاً، البعض قال أن مغادرة جدك للقرية هي السبب بينما نفى البعض الآخر ذلك تماماً بعدما أكدوا أن جدك حامد رفض المغادرة ظناً منه في البداية أنها حيلة من عمران ليختبئ منه، حتى أنه خرج في أحد الليالي لمواجهتهم بنفسه ثم ظل بعدها في منزله لا يخرج منه أبداً، حتى توقف كل شيءٍ بغتةً كما بدأ بعدها غادر جدك القرية، وبالتالي لم تكن مغادرته هي السبب.

رجال آخرون كان رأيهم أن السبب هو مرور ثلاثة ليالٍ متتالية دون أن يصدر أي صوتٍ من أهالي القرية خلالها، ثلاث ليالٍ متتالية من الصمت التام هي سبب اختفاؤهم تماماً! لكن الحقيقة أن لا أحد يعلم السبب تحديداً!"

ثم صمتت وهي تتلفت حولها قبل أن تتابع قائلةً:

-" بالرغم من ذلك أعتقد أن وجودكم هنا لن يكون مرحباً به مطلقاً لو علم أهل القرية بعودتكم سيطردونكم في الحال"

لم تكد تتم عبارتها حتى سمعنا صوت شخص قادم من بعيد يصرخ بكل ما أوتي من قوةٍ قائلاً:

-" البحيرة! مياه البحيرة تنحسر! إنهم قادمون!!!"

الفصل الرابع

لم تكد عبارة الرجل عن انحسار مياه البحيرة تصل لآذاننا، حتى وجدت جميلة تصرخ في فزع وتركض إلى منزلها، ووجدت نفسي أقف وحدي في الشارع أتابع حالة الهلع التي انتابت الناس وهم يركضون في كل صوب عائدون إلى منازلهم قبل أن يسود القرية صمت مطبق في دقائق معدودة!

لم تقو قدماي على الحراك من شدة الخوف حاولت جرهما بكل ما أوتيت من قوة لكن المصيبة أنني لم أكن أعرف طريق العودة إلى المنزل بالأساس، كل ما أتذكره هو ذلك المسجد على أول الشارع، لكن كيف أصل إليه الآن؟! سيحتاج الأمر بعض الوقت لأعثر عليه، وما زاد الموقف سوءاً أن أغلب الأهالي أطفأوا المصابيح التي أمام منازلهم، فأصبحت وحيداً تائهاً وسط الظلام!

كنت أرتجف وأنا أسير بين شوارع القرية المظلمة لا أرى أحدٌ سواي، وزاد الخوف من تشتيت تركيزي فما عدت قادر على تمييز الشوارع التي أسير فيها إن كنت دخلتها من قبل أم لا؟! حتى أنني سرت باتجاه مدخل القرية بدلاً من أن أذهب نحو المنزل، وفجأةً أثناء سيري رأيتهم يدخلون القرية على ضوء المصباح الذي كان عند مدخلها، زاد ارتجاف قدماي ولم أدرِ ماذا يتوجب عليا فعله حينها، كان منظرهم مفزع بحق، خيالات سوداء تشبه أجسام رجال ولها وجوه أقل ما توصف به أنها بشعة!

تذكرت حديث جميلة عن الصوت وما سيسببه من ردة فعلٍ منهم، خلعت حذائي وحاولت السيطرة على صوت أنفاسي المتلاحقة من فرط التوتر، وأخذت عهداً على نفسي ألا أصرخ مهما حدث، ثم تابعت سيري على أطراف أصابعي محاولاً العودة إلى المنزل، وفجأةً تذكرت شيئاً في غاية الخطورة!

أمي وخالي بِشر لا يعلمان شيئاً عما يحدث! قد يخرجا ليبحثا عني إن طال غيابي أكثر من ذلك وخصوصاً مع حالة الهرج التي حدثت في القرية قبل قليل، لابد أن ذلك قد أثار قلقهم، زادت تلك الفكرة من حالة الخوف التي تتملكني فحاولت الإسراع بالعودة ذلك هو الحل الوحيد، ظللت أسير بلا هدى من شارع لآخر حتى رأيت المسجد أخيراً، "لقد وصلت إلى الشارع!" غمغمت بها في خفوت ثم وضعت يداي على فمي في قوة خشية أن يكونوا قد سمعوا صوتي، ظللت جامداً في مكاني بلا

حراك لثواني حتى تأكدت بأنهم لم يسمعوني، بدأت أطمئن قليلاً ثم تابعت سيري على أطراف أصابعي نحو المنزل، شعرت بلقبي يكاد يقفز من بين ضلوعي وأنا أرى أحد تلك الخيالات في مقابلتي تماماً من بعيد ويقترب نحوي، وضعت يدي على فمي حتى لا أصرخ وقررت أن أظل ثابتاً في مكاني دون أن أُصدر أي صوت على أمل ألا يلاحظ وجودي، تمنيت أن يحالفني الحظ ويدخل إلى أي شارع جانبي قبل أن يَصل إلي، مرَّ الوقت كدهرٍ كامل وأنا أحاول الحفاظ على هدوء أعصابي حتى ينتهي ذلك الكابوس بالرغم من جسدي الذي يرتجف بلا توقف وضربات قلبي التي تتعالى لدرجة اني خفت أن يثير صوتها تلك الأشباح، لم أصدق عيناي حينما رأيته ينحرف يساراً نحو شارع آخر وقبل أن ألتقط أنفاسي حدث ما كنت أخشاه، خرج خالي بشر من المنزل!

اتسعت عيناي وأنا أراه يتلفت بحثاً عني لكني لم أجرؤ على النطق بكلمة، وقبل أن أخطو خطوة واحدة باتجاهه رآني فصاح غاضباً:

-" ماذا تفعل عندك يا يونس أين كنت كل هذا الوقت؟!"

امتقع وجهي وشعرت بخدرٍ في جسدي ثم دمعت عيناي مع صوت الصرخات التي أخذت تتعالى في كل أرجاء القرية، لم يفهم خالي ماذا يحدث فخرج إلى الشارع يتلفت حوله ثم صرخ في هلع حينما وقعت عيناه على ذلك الخيال الذي كان في طريقه إليه، سقط أرضاً من شدة الفزع وظل يزحف وهو يواصل الصراخ وصوت صرخاتهم تتعالى أكثر، ثم اجتمعوا حوله وسحبوه نحو البحيرة وأنا في حالة انهيارٍ تام لا يقو عقلي على تصديق ما تراه عيناي ولا جسدي على الحراك!

ظللت في مكاني حتى توقف الصراخ تماماً وعاد الصمت يخيم على القرية وعقلي يجاهد لاستيعاب ما حدث لخالي بشر للتو! ثم تقدمت بخطواتٍ مرتجفة نحو باب المنزل الذي كان لا يزال مفتوحاً، دخلت وأغلقت الباب خلفي ثم ألقيت نظرة على أمي فوجدتها ترقد في فراشها، حمدت الله أنها لم تر ما حدث لخالي ثم سقطت في مكاني مغشياً علي!

****

لم أدرِ كم مرَّ من الوقت فتحت عيني في تهالكٍ شديد، وأنا أشعر بثقل في جسدي لا أقو على الحراك، ثم تنبهت لصوت بكاء أمي وهي تحاول إيقاظي، صاحت في سعادة حينما رأتني أستعيد وعيي:

-"الحمد لله! ماذا بك يا يونس؟! ما الذي حدث بالأمس؟ لقد كنت متعبةً للغاية ونمت قبل عودتك وحينما استيقظت وجدتك ملقى على الأرض ولم أجد بِشر في المنزل، ما الذي حدث؟"

تذكرت ما حدث لخالي بشر فامتلأت عيناي بالدموع وأنا لا أعلم حقاً كيف سأخبرها بما أصابه؟! حاولت الجلوس بصعوبة ثم نظرت إلى النافذة فوجدت أشعة الشمس تملأ المكان، أدركت أني قد بقيت طوال الليل على تلك الحالة، أمسكت بيد أمي وقبلتها ثم ازدرت ريقي في صعوبة وأخذت أحكي لها كل ما حدث الليلة السابقة، ما أخبرتني به جميلة وما تلا ذلك من أحداث ثم أخيراً ما حدث لخالي بشر!

كانت أمي تستمع إليَّ وعلامات الذهول ترتسم على قسمات وجهها جلية، حتى أنني شعرت لوهلة أنها لا تصدق حرف مما أقول، لن أستغرب ذلك فأنا نفسي لم أكن قادر على استيعاب ما أخبرها به! بدا الأمر برمته وكأنه مجرد كابوس مفزع زارني أثناء نومي!

انهيت حديثي وظللت أنظر إليها وهي تحدق في وجهي دون أن تعقب بحرف واحد، ساد الصمت بيننا لدقائق ثم لم أصدق أذناي حينما سألتني في استنكار:

-"أين بِشر!"

أيقنت أنها لم تعِ حقيقة ما أصابه حتى الآن، وقبل أن أجيبها قطع حديثنا صوت طرقات عنيفة على باب المنزل، يبدو أن الجزء الأسوأ من الأحداث سيبدأ الآن!

طلبت من أمي الدخول إلى غرفتها حتى لا يتعرض لها أحد بالأذى، لكنها لم تستجيب لطلبي بل أنها لم ترد بكلمة كانت شاردة الذهن تماماً، زادت الطرقات على الباب فاضطررت لأن أقوم لأفتحه، وجدت مجموعة من رجال القرية يتشيطون غضباً ويتطاير الشرر من أعينهم، ثم صاح أحدهم:

-"من أذن لكم بالدخول إلى هنا؟! ألا يكفي ما جلبه علينا حامد ابن عبد الحكيم بعودته؟! ليأتي أحفاده بعد كل تلك السنين فيعيدوا الكرَّة من جديد؟!"

صاح آخر:

-"لقد أخبرتكم مراراً أن نهدم ذلك البيت الملعون!"
فرد عليه أحدهم:

-" وما أدراك ما الذي كان سيحدث إن هدمناه؟! قد يجلب ذلك علينا المزيد من الويلات، بالطبع لم نكن لنفعل!"

فأجابه في سخرية:

-"جيد أنكم لم تفعلوا! فلتجدوا حلاً إذن لتلك المصيبة التي حلَّت بنا!"

صاح فيهم رجل مُسنّ -علمت فيما بعد أن اسمه العم حسَّان- قائلاً:

-"اصمتوا!"
ثم خاطبني في حزم:

-"ارحلوا يا ولدي مكوثكم هنا فيه خطر كبير عليكم وعلينا"

وقبل أن أجيبه فوجئت بأمي تقف بجواري وتقول في انفعالٍ شديد:

-" لن نبرح مكاننا! هو منزلنا ولا يحق لكم طردنا منه!"

تعجبت كثيراً لردة فعلها المفاجئة ثم أسرعتُ بالحديث لأخفف من حدة الموقف قليلاً فقلت في توسل:

-"رحيلنا لن يفيدكم في شيء، لقد علمت أن جدي ظل موجوداً في القرية حتى توقف ذلك الجنون حينما مرت ثلاث ليالٍ متواصلة من الصمت بعدها اختفوا تماماً كل تلك السنين، أرجوكم اتركونا نبقى حتى تنقضي الثلاث ليالٍ وسينتهي كل شيء كما بدأ، فنحن لم نأتِ إلى هنا بإرادتنا، بل أجبرتنا ظروف قاسية للغاية على العودة وليس لدينا مكان آخر نعيش فيه!"

أثارت كلماتي جدل كبير بينهم بين متعاطف معنا ومعارض لبقائنا، ثم قال العم حسَّان بعد أن رمقني بنظرةٍ لم أفهمها:

-"سنذهب إلى ساحة المسجد ونتشاور في الأمر ثم نبلغكم بقرارنا"

قاطعت أمي حديثه قائلةً في جمود:

-"لقد مات بشر! أخذوه إلى البحيرة! لم نكن نعلم شيئاً عما يحدث هنا!"

اتسعت عيناي وأنا أراقب تصرفاتها المفاجأة، ثم تعالت شهقات الفزع بين الرجال، بينما قال حسَّان في أسف:

-"رحمه الله يا ابنتي!"

بعدها أمر الرجال بالانصراف وساروا باتجاه المسجد.

ما أن أغلقتُ باب المنزل حتى انهارت أمي باكيةً وكأن كل مشاعر الحزن بداخلها قد انفجرت دفعةً واحدة، حاولت مواساتها لكن بدا ذلك مستحيلاً، فلا زالت لم تتقبل بعد صدمة رحيل والدي وكان خالي بشر هو كل ما تبقى من عائلتها، أشفقت عليها كثيراً وشعرت بالعجز أمام دموعها المنهمرة التي زادت من الشعور بالذنب الذي يمزقني، فقلت متسائلاً وأنا ألوم نفسي:

-"هل كان هناك سبيل لإنقاذه؟ أنا حتى لم أحاول!"

ثم أطلقت العنان لدموعي لعلها تخفف قليلاً من وطأة شعوري بالذنب تجاهه.

****

بعد مرور ما يزيد عن الساعة والنصف جاء إلينا أحد رجال القرية ليخبرنا بأنهم قرروا تركنا لأربع ليالٍ فقط حتى يتأكدوا من زوال اللعنة عن القرية فإن مرت الليلة الرابعة بسلام فسيتركوننا نبقى وإن ظهر فيها أشباح الصيادين فعلينا المغادرة!

لم يكن قرارهم يبعث الطمأنينة في النفس مطلقاً فلا أحد يعلم حقاً هل سينتهي ذلك العبث بمرور اللّيالي الثلاث، أم ستحمل الأيام القادمة المزيد من المفاجآت الغير متوقعه والصادمة على حد سواء!!!!!!!

الفصل الخامس

لم أجرؤ على الخروج من باب المنزل طيلة اليوم، فأهالي القرية في حالة غليان لم ينقطع حديثهم عما جرى بالأمس، يسهل سماع أحاديثهم من نوافذ المنزل، وأصبحت أنا وأمي المتهمين الرئيسيين عن عودة تلك اللعنة "لعنة بحيرة الصمت" كما يسمونها!

مرت ساعات النهار بسرعةٍ كبيرة قبل أن تبدأ الشمس بالمغيب منذرةً بحلول ليلةٍ الله وحده أعلم بما سيحدث فيها، اختفى سكان القرية من الشوارع تماماً قبل مغيب الشمس بنحو نصف ساعة، وران على القرية صمت مطبق مشوب بالحذر، مرت عدة ساعات من الليل حتى قارب على الانتصاف ولم يحدث أي شيء!

بدأ السرور يتسلل إلى قلبي قليلاً وأنا أتساءل:

-" ماذا لو مرت هذه الليلة بسلام ولم يحدث شيء حتى الصباح؟! سيهدأ أهالي القرية كثيراً وسيدعوننا وشأننا بلا شك!"

وقبل أن تسترسل الأحلام في مخيلتي سمعت صوت يرن صداه في أرجاء المكان، يكرر في فزع:

-" لقد بدأت البحيرة في الانحسار! إنهم قادمون!"

ثم عاد الصمت يخيم على الأجواء ثانيةً، تذكرت ما حدث لخالي بشر بالأمس وأشكالهم المفزعة، فأغلقت نوافذ المنزل وجميع الأضواء وجلست بجوار أمي التي كانت نائمةً منذ ساعات بعد يوم طويل من النحيب والبكاء على ما أصاب خالي ومن قبله أبي، تمنيت لو تمكنت من النوم مثلها حتى تنقضي هذه الليلة لكني لم أغفُ ولو للحظة، كنت أرتجف في فزع كلما تخيلت شبح خالي بشر وهو يدخل إلى المنزل في اية لحظة ليسحبني إلى هناك!

مضت ساعات الليل ببطءٍ غير طبيعي، وكأن الفجر يرفض البزوغ! ثم أخيراً بعدما أُنهِكَت قواي تماماً من شدة القلق وطول السهر، رأيت ضوء الشمس يتسلل على استحياء ليبدد ظلام أطول ليلةٍ مرت عليَّ في حياتي، سقطت جفوني رغماً عني لأغُطَّ في نومٍ عميق دون أدنى مقاومة.

استيقظت على صوت أمي وهي تهزني في عنفٍ قائلة:

-" هيا استيقظ يا يونس! ما كل هذا النوم؟! لقد اقتربت الشمس من المغيب!"

تنبهت كل حواسي دفعةً واحده مع كلمتها الأخيرة، وفتحت عيناي وأنا أغمغم:

-" اقتربت ماذا؟؟ كيف ذلك؟!لقد أشرقت للتو!"

ابتسمت في حنان وهي تقول:

-"يبدو أنك لم تغفُ حتى الصباح"

أجبت في خجل:

-" لم أستطع! لقد كانت ليلةً طويلة للغاية"

ربتت على كتفي متفهمة، ثم قالت:

-" هيا انهض! أريدك أن تشتري لي بعض الأغراض قبل حلول الليل"

****

بعد مرور نحو نصف الساعة، خرجت من المنزل وأنا أتلفت حولي متمنياً ألا أصادف أي أحدٍ من أهل القرية حتى أعود، لكن بالطبع كان ذلك مستحيلاً، فقد كانت شوارع القرية تكتظ بالناس، والحديث عن بحيرة الصمت والصيادين وما جرى بالأمس لا ينقطع بالرغم من عدم خروج أي أحد إلى الشارع طوال الليل، لا أعرف من أين يأتون بتلك القصص، لديهم مخيلات واسعة للغاية والغريب أنهم يصدقون بعضهم لا أعرف كيف؟!

لكن على كل حال كان ذلك في صالحي فقد كانوا منهمكين في الحديث كثيراً مما ساعدني على التنقل بين شوارع القرية دون أن يكترث أحد لأمري.

وصلت أخيراً إلى دكان جميلة، وجدت نفسي أبتسم تلقائياً ما أن وقعت عيناي عليها وهي تحضر الأغراض لأحد الزبائن، وقفت بعيداً حتى تأكدت من انصراف الجميع حتى لا أُفسح المجال لأحدهم ليسمعني كلمة سخيفة ويحرجني أمامها، ثم تحركت نحو الدكان مسرعاً وقلت في سعادة:

-"مرحباً يا جميلة كيف حالك؟!"

بدا الارتباك جلياً على وجهها وردت باقتضاب:

-" مرحباً بك! ماذا تريد أن أحضر لك؟!"

امتقع وجهي من ردها وأدركت أنها لا تريد الحديث معي، تسلل الضيق إلى نفسي وودت أن أصيح فيها قائلاً: "وما ذنبي فيما يحدث؟!" لكنني آثرت السكوت وأعطيتها ورقة الطلبات التي كتبتها أمي، فقامت بدورها بتحضيرها مسرعةً وكأنها تريد أن تتخلص من وجودي عند دكانها في أسرع وقت، زاد ذلك من شعوري بالضيق، فأعطيتها النقود وانصرفت والألم يعتصر قلبي، كيف تحولتُ بين ليلةٍ وضحاها لمصدر شؤم يخشى الناس حتى الحديث معي؟!

سرت إلى المنزل وأنا غير مكترث بأن يراني أحد بل أنني تباطأت في السير عمداً متمنياً أن يتجرأ أحدٌ فقط على القاء كلمةٍ مزعجة لأصبَّ عليه جام غضبي، لكن ذلك لم يحدث وكأنهم عرفوا ما أنوي فعله واتفقوا على ألا يتيحوا لي تلك الفرصة أبداً!

****

مرت الليلة بسلامٍ كسابقتها، عاهدت نفسي على عدم الخروج من المنزل حتى تمر الليلة الرابعة وتنتهي تلك اللعنة من القرية تماماً، فبقيت في المنزل طوال اليوم الثالث وحتى حلول الليل، لكن لا أعلم لم راودتني تلك الفكرة المجنونة مع سماعي لصوت المنادي مثل كل ليلة وهو يقول:

- " لقد بدأت تنحسر! إنهم قادمون!"

شعرت برغبةٍ في رؤيتهم فقد تنتهي تلك اللعنة إلى الأبد ولا يراهم أحد ثانيةً، خرجت إلى الشرفة ووضعت كرسي في أقصى الزاوية اليمنى منها ثم وقفت عليه وملت بجسدي إلى الخارج وأنا أدير رأسي نحو اليمين ليتسنى لي رؤية الشارع بوضوح، ساعدني كثيراً ضوء عمود الإنارة المجاور للمسجد الذي يقع على أول الشارع، ثم سرت في جسدي قشعريرة باردة وأنا أرى خيال أحدهم يدخل إلى الشارع ويقترب من منزلنا قبل أن يختفي عن نظري فأيقنت أنه دخل إلى شارع جانبي، لم أكد أدير وجهي حتى رأيته يقف أمامي مباشرةً!

انتفض جسدي في قوة وكدت أصرخ لكنني تماسكت ووضعت يداي على فمي، لكنني لم أقو على الحراك والعودة إلى داخل المنزل، تجمدت قدماي تماماً وظلت عيناي

محدقةً في ذلك الوجه البشع ذو العينين المجوفتين الذي يقترب مني في بطء وأنا أكاد أسقط مغشياً عليّ من فرط الخوف!

شعرت لوهلة أني أريد الاستسلام والصراخ بكل ما أوتيت من قوة مهما كانت العواقب، لكنه اختفى من أمامي فجأة، ازدرتُ ريقي في صعوبة بالغة، وأجبرت قدماي على الحركة والنزول من فوق الكرسي، ثم تسللت بخفة حتى دخلت إلى المنزل وأغلقت باب الشرفة، بعدها ألقيت بجسدي على الأرض وأنا ألهث بلا توقف محاولاً التقاط أنفاسي بصعوبةٍ بالغة، والعرق يتصبب على جبيني، جعلت أغمغم في خفوت:

-"غبي! كدت تقتل نفسك أيها الغبي!"

ظللت راقداً في فراشي حتى الصباح لكن دون أن أقو على إغماض عيني، فكلما حاولت إغماضهما تذكرت ذلك الوجه البشع فتتجمد الدماء في عروقي وتتعالى ضربات قلبي وتنتابني حالة من الهلع تقضي تماماً على أي أملٍ لي في النعاس. بقيت على تلك الحال حتى أشرقت شمس اليوم الرابع أخيراً، ابتسمت بصعوبة تتلاءم مع قواي المنهكة قبل أن استسلم إلى النوم أخيراً وأنا أحلم ببداية جديدة للحياة في تلك القرية، دون أن أدري أنها ستكون بداية جديدة بالفعل لكن من نوعٍ آخر يختلف تماماً عما كنت أتوقعه!

****

استيقظت على صوت جلبة شديدة في الخارج، رغم حاجتي الماسة إلى النوم لكن القلق جعلني أهب من مرقدي راكضاً إلى نافذة الغرفة، وقفت أنظر من فتحات شيش النافذة المغلقة وأنا أنصت في تركيز لما يقولونه، وجدت حالة من الهرج والمرج، أناس يركضون وآخرون يتحدثون وعلامات التوتر تظهر جليةً على وجوههم جميعاً، سمعت أحدهم يقول:

-"يبدو انها لم تنتهِ!"

وآخر يجيبه:

-"معك حق بكل تأكيد فما حدث اليوم لم يحدث من قبل مطلقاً!"

-"وما العمل؟!"

-"لا أحد يدري قد يكون الحل الوحيد هو خروج هؤلاء الملاعين من القرية" ثم استدار بنظره نحو منزلنا، تراجعت للخلف في فزع مع نظرته رغم يقيني أنه لا يراني، زاد الضيق في نفسي وقد ضاعف ما سمعته من حيرتي:

-" ترى ما الذي حدث جعلهم على تلك الحالة ونحن لا زلنا في الصباح؟!"

عادةً لا يحدث أي شيء في مثل ذلك الوقت، قررت الخروج لأعرف الإجابة بنفسي، تلثمت بطرف عمامتي كما فعلت في أول ليلةٍ لنا هنا، ثم خرجت أتسلل في هدوء مستغلاً حالة الفوضى التي تعم القرية، وجدت نفسي أسير باتجاه دكان جميلة، لحسن الحظ لم أجد أحداً يشتري شيئاً، فأزلت اللثام عن وجهي حتى لا أخيفها وسارعت نحو الدكان، ارتَبَكَت كثيراً عند رؤيتي فقلت في حزم حتى لا أعطيها فرصة للاعتراض على الحديث معي:

-" جميلة! أريد أن أعرف ماذا يحدث؟ يبدو أنهم سيطردوننا من القرية حتى قبل حلول المساء!"

نظرت إلي في أسف ثم أجابت قائلة:

-" اتجه الصيادون نحو البحيرة كعادتهم كل صباح، ففوجئوا أن مياهها لازالت منحسرة منذ البارحة لم تعد إلى طبيعتها، إنها المرة الأولى التي يحدث فيها أمر كهذا ولا أحد يعلم ماذا يعني ذلك؟!"

ارتفع حاجباي في دهشة مما سمعته للتو وشعرت بانقباضه شديدة في صدري يبدو أن اللعنة لم تنته كما كنت أظن! لم أكن أعلم حينها بأن الجزء الأسوأ لم يبدأ بعد!!!!

الفصل السادس

قَدِمَ تجار الأسماك إلى قرية ال100 صياد كعادتهم كل يوم منذ سنوات ليأخذوا الأسماك الطازجة من الصيادين، لكنهم صدموا من منظر البحيرة العجيب ومشهد مياهها المنحسرة، لدرجة أن قوارب الصيادين كانت ترسوا على الأرض، بالطبع لم يتمكن أحد من النزول إلى البحيرة و اصطياد أي اسماك في ذلك اليوم، والأسوأ من ذلك أن جميع التجار قد علموا بما يجري في القرية رغم نجاح الصيادين في إخفاء الأمر عنهم طيلة الأيام الماضية، لكن بعدما رأوه بأنفسهم اليوم لم يعد ذلك ممكناً!

زاد ذلك من نقمة أهالي القرية نحوي أنا وأمي و كالعادة نحن المتهمين الرئيسيين في كل ما يحدث، فصيد الأسماك هو المصدر الرئيسي للرزق لهم وحرمانهم منه يعتبر كارثة بكل المقاييس.

اتجه مجموعة من رجال القرية نحو منزلنا وأخذوا يهتفون لوجوب رحيلنا عن قريتهم في الحال ويهددون بإحراق منزلنا إن لم نفعل!

لم أستطع لومهم على ذلك فقررت الاستسلام وأخبرت أمي بضرورة رحيلنا فلم يعد بقاؤنا في هذه القرية ممكناً بعد كل ما يحدث، وافقتني بإيماءة حزينة من رأسها وأخذت تجمع أغراضنا ودموعها تتساقط على وجنتيها بلا توقف.

سمعت العم حسَّان يصيح في الرجال المجتمعين أمام المنزل ويأمرهم بالانصراف واحترام القرار الذي اتفقوا عليه سابقاً بأن ينتظروا حتى الليلة الرابعة ليروا أولاً كيف ستمر؟! وعلى حسب ما سيحدث فيها يكون الحكم برحيلنا أو لا، بالطبع لم يقتنع أحد بحديثه فالأمور تبدو واضحة للغاية لكنهم استجابوا له وانصرفوا من أمام المنزل ليمهلونا إلى صباح الغد، ارتحت قليلاً لرحيلهم لكني تابعت جمع أغراضي فلم يكن لدي أدنى شك بأننا سنغادر.

****

حل المساء وساد الصمت في أرجاء القرية ككل ليلة، لم ينادِ أحد بانحسار مياه البحيرة كما يحدث عادةً فهي كذلك منذ الليلة الماضية، لا أحد سيعلم هذه المرة بوصولهم إلى القرية بدا ذلك مزعجاً للغاية بالنسبة لي وزاد من خوفي كثيراً، فكرت في الخروج إلى الشرفة ومراقبة الوضع بنفسي، لكني تذكرت ما حدث بالأمس

فارتجف جسدي حينما مرت صورة ذلك الوجه البشع بمخيلتي، وقررت نسيان الأمر برمته والرقود في سريري حتى الصباح.

مرت ساعات الليل ببطء بالغ، وأنا لا أنفك أفكر في أين سنذهب أنا وأمي غداً؟ هل يعقل أن أعود إلى بلدتي لأواجه خطر ما سيفعله بي عمي؟ أم أصر على البقاء في هذه القرية الملعونة وأتحمل ما سيفعله بي أهلها؟! كم أنا منحوس! أعيش كل هذا البؤس بلا ذنبٍ اقترفته!

ثم بدأتُ أفكر في كل ما يحدث، تلك اللعنة ليست بسببي كما يقولون ما يصيبهم هو بسبب سكوتهم على ما حدث للصيادين قديماً إنه ذنبهم هم وليس أنا!

لكن لماذا لم يحدث ذلك منذ سنوات؟ لماذا يوم عودتنا؟!ومن قبل ذلك يوم عودة جدي؟!

كاد رأسي ينفجر من كثرة الأسئلة التي ليس لها إجابة!

****

قاربت الساعة على الثانية صباحاً....

ارتجفت كل ذرةٍ في كياني بلا هوادة حينما سمعت صوت الصراخ يملأ أرجاء القرية، كان الصوت مفزعاً إلى أقصى حد! يتعالى بشكل تدريجي ويزيد صداه من علوه وقوته ليصبح أكثر رعباً إلى حد لا يحتمل لم يكن هكذا في المرة السابقة، وضعت وسادتي فوق رأسي وجعلت أضغط بها على أذناي بكل ما أوتيت من قوة لعلي أنجح ولو قليلاً في التخفيف من حدة الصوت وما يثيره من فزع في نفسي، استمر الصراخ المتواصل نحو ربع ساعةٍ كاملة قبل أن يختفي تماماً، أيقنت حينها أن أحد أهالي البلدة قد راح ضحية تلك الليلة وبالطبع سأكون أنا وأمي المسئولين عن ذلك، لن يتركنا أهالي القرية على قيد الحياة سيقتصون منا بلا شك، أصبح وجودنا هنا فيه خطر شديد على حياتنا، سارعت إلى أمي التي كانت تبكي في غرفتها بحرقة، أشفقت عليها كثيراً وجلست بجوارها أواسيها قائلاً:

-" سنرحل مع طلوع الشمس لن ننتظر حتى يخرجنا أحد"

أجابت في مرارة:

-"وإلى أين سنذهب؟"

تنهدت في ضيق وأجبتها:

-"لا أعلم لكن بلاد الله واسعة سنذهب إلى أي مكان، سيكون حالنا أفضل بالتأكيد من بقائنا هنا!"

أجابت بإيماءة من رأسها دون أن تعقب، انتظرنا حتى أشرقت الشمس وخرجنا نتسلل قبل أن نصادف أحد من أهل القرية في طريقنا، لكن ما وجدناه لم يكن ليخطر ببالنا! فعلى عكس ما توقعنا وجدنا أهالي القرية بأكملهم يملئون الشوارع، كانوا في انتظار شروق الشمس بفارغ الصبر ليعلموا من الذي قُتل وأُخذ إلى البحيرة بالأمس؟!

سرنا أنا وأمي في صمت متجاهلين وجودهم، نسارع الخطى لنصل إلى طريق الخروج من القرية، لكن لم يمر الأمر بسلام كما توقعت، استوقفنا بعض الأهالي وانهالوا علينا بالاتهامات والسباب واللّعان، ونحن نحاول تجاهلهم ومتابعة سيرنا دون جدوى، حتى أصبحوا يحيطون بنا من كل صوب ولم نعد قادرين على السير، صرخت فيهم وقد استبد الغضب بكل كياني قائلاً:

-"ماذا تريدون منا؟؟ دعونا نرحل في سلام! وإن كنتم تظنون أن رحيلنا سيزيل اللعنة عن قريتكم فأنتم مخطئون! لم تحل اللعنة عليكم بسببنا كما تدَّعون! بل بسببكم أنتم! بسبب سكوت أجدادكم على ما حدث قديماً! وها أنتم تعيدون الكرَّة ثانية، تظلموننا بلا سبب! لم نكن نعلم شيئاً عن لعنتكم هذه حينما قدمنا إلى هنا، وقتل خالي في أول يوم لوصولنا، فكيف نكون نحن السبب إذن؟! لماذا لا تفكرون بأنفسكم ما السبب الحقيقي لعودة تلك اللعنة إلى قريتكم؟ ماذا فعلتم؟"

وقعت كلماتي كالصاعقة على مسامعهم حتى أن أحدهم لم يجرؤ على النطق بحرفٍ واحد! ثم تدخل العم حسَّان وقال بصوتٍ رصين:

-"معك حق يا ولدي ليست عودتكم السبب! ولم تكن عودة جدك سبب حلولها بالأساس!"

ثم التفت نحو أهالي القرية وخاطبهم قائلاً:

-" لقد حان الوقت لتعلموا حقيقة ما يحدث هنا منذ الليلة الأولى لقتل الصيادين!

كما تعلمون لقد كنت أحد رجال عمران المقربين وكنت على دراية بالكثير من أسراره بالأخص ذلك السر الذي أخفاه عن القرية بأكملها!

في الليلة الأولى لقتل الصيادين كانت تسود البلدة حالة من الخوف والحزن والفوضى على حدٍ سواء، وكان عمران يخشى ان يجتمع أهل القرية للثأر منه، لذلك أصر على طرد جميع أهالي الصيادين المقتولين، كما امر رجاله بالانتشار في أرجاء القرية ليبقى الخوف سائداً بينهم حتى تهدأ الأوضاع قليلاً، ولم يتبقَّ معه سوى أنا ورجل آخر، بقينا بجوار البحيرة طوال الليل، لأنه كان يخشى دخول القرية حينها، وعند انتصاف تلك الليلة فوجئنا بانحسار مياه البحيرة على نحوٍ مفزع ثم رأيناهم!

رأينا أشباح الخمسة عشر صياد يقفون في منتصف البحيرة تماماً يحدقون فينا بلا حراك، سيطر الفزع علينا حينها وخصوصاً عمران، وأمرنا ألا نخبر أحداً بما رأيناه أبداً، أيقن حينها أنهم لن يتركوه حتى يقتصوا منه!

أمرنا أن نذهب إلى البحيرة كل ليلة دون أن يجرؤ هو على الذهاب إليها ليلاً مرةً أخرى، كان يريد أن يعرف فقط إن كان ذلك سيتكرر أم لا؟! لكنه لم يتكرر ثانية أبداً حتى ذلك اليوم..

لم تكن عودة حامد ابن عبد الحكيم هي سبب ما حدث في المرة التالية! بل كان ما فعله عمران في صباح ذلك اليوم، كنت على علمٍ بجميع صفقاته مع عزَّام رجل الشرطة الذي كان يتستر على جرائمه في مقابل أموالٍ طائلة، وكان طمعه ليس له حدود حتى سئم عمران من طلباته وتهديداته المستمرة وقرر التخلص منه، فاستدرجه إلى وسط البحيرة على متن قاربه، بحجة أنه يريده في أمر سري للغاية سيدر عليهما أموال طائلة ليضمن قدومه وحده دون إخبار أحد، ثم قتله بنفس الطريقة التي قتل بها الصيادين وألقى بجثته في البحيرة، كنت أعلم حينها أن الأمور لن تمر بسلام، صادف عودة حامد ذلك اليوم، وحدوث الشجار الذي شهده أهالي القرية بينهما، وبالطبع قرر عمران التخلص منه في اليوم التالي، لكن القدر لم يمهله لفعل ذلك، انحسرت مياه البحيرة ثانيةً للمرة الأولى منذ يوم قتل الصيادين إيذاناً ببدء مرحلة جديدة أكثر رعباً ودموية من تلك اللعنة!

هذه المرة لم يقف الأمر على ظهور أشباح الصيادين بداخل البحيرة فقط بل تطور إلى خروجهم منها ودخولهم إلى القرية، لم أتوقع ما فعله عمران حينها وخروجه راكضاً ليشاهد ما يحدث بنفسه، كنت في نوبة حراسة أمام منزله لكني لم أجرؤ على مرافقته واختبأت بداخل المضيَفة التي كانت ملاصقةً لمنزله من الخارج، وظللت أراقب ما يجري من النافذة، فرأيت ما حدث ليلتها وكيف اجتمعوا عليه وأخذوه إلى هناك، استمر ظهورهم نحو أسبوع بعدها اختفوا لأعوامٍ طويلة كما تعلمون جميعاً، ربط الناس ما حدث يومها بعودة ابن عبد الحكيم وكانوا على قناعةٍ تامة بأن عودة حامد هي السبب، فلم أشأ الدخول في مجادلات معهم عن الحقيقة التي رأيتها بعيني ليلة قتل الصيادين والتي ليس لدي إثبات على حدوثها خصوصاً مع وفاة الرجل اللي كان برفقتي يومها منذ أعوامٍ طويلة ثم وفاة عمران، لم يكن حديثي سيشكل فارقاً على كل حال"

كان أهالي القرية ينصتون إليه في وجوم والذهول يسيطر عليهم قبل أن يقاطعه أحدهم في انفعال:

-"إن كان ما تقوله صحيحاً فلماذا ظهروا ثانيةً إذن هذه المرة؟ وفي نفس يوم عودة أحفاد عبد الحكيم؟!"

أطلق العم حسّان زفرةً حارة قبل أن يجيبه:

-" مجرد مصادفة كما حدث مع جدهم! حظهم العَثِر جعلهم يعودون في نفس اليوم الذي سالت فيه الدماء للمرة الثالثة في تلك البحيرة!

بالطبع جميعكم على علم بذلك الخلاف المتكرر بين أمين تاجر الأسماك وبين مختار -حفيد عمران وكبير الصيادين حالياً- المستمر منذ فترة، هل لاحظتم عدم قدوم أمين إلى القرية منذ عدة أيام مع أنه لم ينقطع عن المجيء إلى هنا مطلقاً على مدار السنوات الثلاث الماضية منذ بدأ تعامله مع صيادين قريتنا؟

ثم التفت نحو مختار الذي امتقع وجهه واتسعت عيناه وظل يحدق فيه لوهله قبل أن يقول في تلعثم:

-"كيف عرفت ذلك؟"

نظر حسّان إليه بازدراء ثم أجابه:

-" طلبت من طارق حفيدي الذهاب إلى البحيرة في ذلك الصباح باكراً قبل ذهاب الصيادين إلى هناك ليحضر شيئاً كنت أحتاجه من قاربنا، ورأى ما فعلته بذلك المسكين أمين، أيقنت حينها أن اللعنة ستعود ثانيةً لكن هذه المرة ستكون أقوى من أي وقتٍ سابق وقد لا تنتهي أبداً، سيكون العقاب جماعي على القرية بأكملها!

وكما توقعت لم يكن حرماننا من الصيد البارحة سوى البداية فقط! ثم ما حدث الليلة الماضية، وبالمناسبة تلك الصرخات لم تكن لسبب صراخ أحد! لم يخرج شخص واحد من منزله طوال الليل، ولم يُؤخذ أي شخص إلى البحيرة كما تظنون، لقد تأكدت من ذلك بنفسي، إنهم يثيرون الفزع في قلوبنا وقد يستمر حدوث ذلك كل ليلة ولفتراتٍ أطول!"

سادت حالة من الهرج والجدال بين الجميع، ثم قال أحدهم غاضباً:

-" وما الحل إذن؟ نغادر جميعنا ونترك لهم هذه القرية الملعونة يعبثون فيها كما يريدون؟!"

رد عليه آخر:

-" تريدنا أن نترك منازلنا وقواربنا وحياتنا بأكملها ونغادر هكذا بتلك البساطة؟!"

قطع الحديث صوت أحدهم قادم من بعيد وهو يصرخ في ذعر:

-"مصيبة كبيرة! تعالوا إلى البحيرة بسرعة لتروا ما يحدث بأنفسكم!"

هرعنا جميعاً نحو البحيرة بعد أن تراجعوا عن اخراجنا أنا وأمي من القرية وانشغلوا بشأن مصيبتهم الجديدة، وصلنا لنرى مشهداً لا يوصف! كم هائل من الأسماك النافقة تطفو على سطح مياه البحيرة!

وقفنا نتأمل المشهد الكارثي في صمت دام لوهلة قبل أن يقول أحد أهالي القرية:

-" وماذا بعد؟ كيف سنبقى هنا بعد ضياع مصدر رزقنا الوحيد؟ ليس أمامنا مفر سوى الرحيل!"

كثرت الهمهمات بينهم وقد وافقه عدد كبير منهم وهموا بالانصراف إلى منازلهم استعداداً لمغادرة القرية وإلى الأبد!

قاطعتهم بقولي:

-" ولماذا لا نواجههم؟"

حدقوا في جميعاً في تعجب فتابعت بجدية قائلاً:

-"ما كان يحدث في كل مرة هو أن يصرخ شخص ما فتتعالى صرخاتهم ويأخذوه إلى البحيرة دون أن يحاول أي أحد التدخل لإنقاذه أو منعهم من أخذه، تكتفون بالاختباء وتركه لهم فقط!"

قال أحدهم في سخط:

-"وماذا تريدنا أن نفعل؟!"

استطردت حديثي في حماس:

-" لماذا لا نقف جميعاً في مواجهتهم بدلاً من أن نهرب منهم؟! إذا كان الصوت هو ما يزعجهم فلماذا لا ننتظر قدومهم مساءً ونفعل العكس؟! بدلاً من الاختباء منهم والتزام الصمت نخرج جميعاً إلى الشوارع ونحاول الصمود أمام بشاعة أشكالهم، ثم نصدر جميعنا أصواتاً عالية في آنٍ واحد، مثلاً بضرب أواني الطعام المعدنية ببعضها كغطيان القدور، وإذا اجتمعوا على أحدنا نسرع لتخليصه منهم، ستكون معركة قد تستمر طوال الليل لكن يجب أن نخرج منها منتصرين وقد يكون ذلك هو الحل لاختفائهم من هنا تماماً"

****

لا أعلم من أين تحديداً جاءتني تلك الفكرة ولا أدري هل حقاً ستنجح أم ستكون سبباً في نهايتنا جميعاً؟! لكنها لاقت استحساناً كبيراً من أغلب أهالي القرية الذين كانوا يتوقون للخلاص من ذلك الكابوس!

عدنا إلى منازلنا استعداداً لما سنفعله في تلك الليلة، ما عدا بعض الأهالي الذين اتخذوا قرارهم بالرحيل قبل حلول المساء، لكن عددهم لم يتجاوز العشرة أشخاص.

أبدت أمي اعتراضها الشديد على فكرتي وحاولت اقناعي بضرورة الرحيل عن هنا وخطورة ما انوي فعله! لكني أصريت على البقاء والمواجهة، ما عشته خلال الأيام الماضية وما حدث لخالي بشر، أثار في نفسي الرغبة في الانتقام منهم مهما كان

الثمن، على الأقل نكون حاولنا ولو لمرةٍ واحدة! سنحاول الليلة مواجهتهم وإن سقط منا ضحايا وفشلنا في التغلب عليهم سنغادر القرية جميعاً في صباح الغد.

وها نحن ذا في الساعات الأولى من هذه الليلة الحاسمة في انتظار قدومهم..

يبدو أنهم قد وصلوا!"

****

"لقد انتهت الرسالة! كنت أتحرق شوقاً لمعرفة ما حدث تلك الليلة ومن انتصر في النهاية؟!"

قالتها كارمن وهي تنظر في أسف لزوجها سليم، الذي كان يستمع لها وهي تقرأ الرسالة في اهتمام بالغ أثناء جلوسهما على ضفاف البحيرة، بعد أن ضلا طريقهما ووصلا إلى تلك القرية المهجورة بالمصادفة، فتركوا سيارتهم عند مدخلها ونزلا يبحثان عن أحد ليساعدهما على معرفة الطريق، وأثناء سيرهم وجدت كارمن هذه الرسالة بداخل صندوق خشبي صغير مثبت بسلسلةٍ معدنية في عمود الإنارة عند مدخل القرية، بدا من حالة أوراقها الصفراء اللون والمغطاة بالأتربة على الرغم من وجودها بداخل الصندوق الذي لم يكن محكم الغلق تماماً، أنه قد مر على كتابتها زمن بعيد.

كانت الشمس توشك على المغيب فاقترحت كارمن على سليم الجلوس على ضفاف البحيرة لأخذ قسطاً من الراحة والاستمتاع بمشهد الغروب، فلم يمانع ذلك!

أخرجت الرسالة من الصندوق وأخذت تقرؤها بصوت مرتفع حتى انتهت، ومع نهاية حديثها كان قرص الشمس قد اختفى تماماً من على صفحة المياه، أثارت الرسالة الخوف في قلب سليم لكنه لم يشأ التعقيب على ما جاء فيها، فقال لها في ارتباك وهو يحاول النهوض:

-" هيا بنا نغادر يكفي ما أضعناه من وقتٍ حتى الآن!"

وافقته بإيماءةٍ من رأسها ثم قالت متسائلة:

-"هل تعتقد أن ما جاء في تلك الرسالة حقيقي؟ أم أنها مجرد خواطر خيالية كتبها أحدهم يوماً؟!"

وقبل ان يجيبها بحرف فوجئوا بمياه البحيرة تنحسر أمام أعينهم في مشهد عجيب أثار الذعر في كل ذرةٍ في كيانهما، ثم ظهرت في وسط البحيرة عشرات الخيالات تتحرك في هدوء نحوهما!

قفز سليم واضعاً يده على فم كارمن في قوة وقد أدرك ما ستفعله! لكن الوقت قد تأخر! فقد انطلقت للتو من فمها صرخة مدوية ارتج صداها في أرجاء المكان تبعتها صرخات مفزعة من عشرات الأشباح! أشباح قريةٍ بأكملها!

تمت

الكاتبة مها سيد عبد الرحمن كاتبة رواية

"جزيرة عين الأرض"

وثنائية سيڤارا "مملكة سيڤارا"، "ملحمة الدماء الزرقاء".

الصفحة الرسمية للكاتبة:

https://www.facebook.com/Maha-Sayed-Abdelrahman-مها-سيد-عبد-الرحمن-117973116713609/